

البيان لحديث آية الكرسي لها لسان وشفتان

قال الإمام مسلم رحمه الله (٨١٠): حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، عَنِ الْجُرَيْرِيِّ، عَنْ أَبِي السَّلِيلِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبَاحِ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥]. قَالَ: فَضْرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ».

وأخرجه عبد بن حميد في المنتخب (١٧٨) وأبو نعيم في المستخرج على مسلم (١٨٣٦) والبغوي في شرح السنة (١١٩٥) من طريق ابن أبي شيبة به بزيادة: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ لَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ تُقَدَّسُ الْمَلِكُ عِنْدَ سَاقِ الْعَرْشِ»، وهو بهذه الزيادة في مسند ابن أبي شيبة أيضا كما قال عبد الحق الإشبيلي الأحكام الكبرى (٣١ / ٤).

ولم ينفرد بهذه الزيادة ابن أبي شيبة عن عبد الأعلى فقد تابعه محمد بن المثنى عند ابن عساكر في تاريخه (٣٣٠ / ٧) وتابعها صالح بن عبد الله بن ذكوان الباهلي ، أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (١٣٦٠).

ولم ينفرد بها عبد الأعلى فقد تابعه سفيان الثوري عن الجريري بهذه الزيادة أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٣٧٠ / ٣) وأحمد (١٤١ / ٥) وابن الضريس في فضائل القرآن (١٨٦) وأبو عوانه في مسنده (٤٣٧٨) والبيهقي في الصغرى بتحقيقنا (٤٤٣).

والحديث صححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٣٤١٠) بهذه الزيادة، وهو صحيح كما قال فإنه عند مسلم كما تراه، وإن كان قد ترك الزيادة فلعل عبد الأعلى شيخ ابن أبي شيبة رواها على الوجهين فتارة يذكرها كما هو هنا، وتارة لا يذكرها كما هو عند مسلم، ورواه عنه تلاميذه كابن أبي شيبة ومحمد بن المثنى على الوجهين كما أخرجه أبو داود (١٤٦٠).

وفيه اختلاف لا يضره فقد رواه ابن علية فيما أخرجه عنه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢٢٩) فقال: عن الجريري، عن أبي السليل، عن عبد الله بن رباح: أن رسول الله قال لأبي بن كعب، مرسلًا. ورواه عثمان بن غياث فقال: عن أبي السليل: كان رجلٌ من أصحاب النبي، مرسلًا. أخرجه أحمد (٥٨/٥) ومسدد كما في إتحاف الخيرة (٥٦٣٢).

معنى الحديث

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - على هذا الحديث في بيات تلبس الجهمية (٢٨٠/٦) ط: مجمع الملك فهد قال رحمه الله: لفظ الحديث الذي ذكر عن أبي - رضي الله عنه - على ما رواه مسلم في صحيحه، عن عبد الله بن رباح، عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا المنذر، أتدري أي آية في كتاب الله أعظم؟ قال: قلت: الله لا إله إلا هو الحي القيوم. قال: فضرب في صدري، وقال: ليهنك العلم يا أبا المنذر.

وهكذا رواه أبو داود في سننه، والإمام أحمد في مسنده. زاد أبو مسعود الدمشقي صاحب أطراف البخاري ومسلم: والذي نفسي بيده، إن لهذه الآية لسانًا، وشفقتين، تقدس الملك عند ساق العرش. لكن هذه الزيادة ليست موجودة فيما بأيدي الناس من صحيح مسلم، لكن رواها الإمام أحمد عن أبي بكر بن أبي شيبة، ورواها ابن أبي شيبة في مصنفه. ذكر هذا عبد الحق في الجمع بين الصحيحين، والقول في ذلك كالقول فيما تقدم من مجيء القرآن والأعمال الصالحة، كما تقدم بيانه.

ونظير ذلك ما ورد من أن للكلم الطيب حول العرش دويًا، كما ورد: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، إن لها دويًا حول العرش تذكر بصاحبها. وما يشبه هذا ما روي عن عبد الله بن مسعود قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: لقيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. قال الترمذي: حديث حسن. فمعلوم أنه ليس المعنى الظاهر من هذا الباب أن نفس العمل، أو القول المذي يقوم بالقائل، والقائل هو نفس شجر الجنة، ولكن يظهر منه أن هذا الكلام يصير منه شجر في الجنة، فيغرسه الله غراسًا في الجنة كلما تكلم

العبد بهذه الكلمات، غرس له غراس. هذا هو المعنى الذي يظهر منه، سواء كان الله تعالى يصور نفس هذا العمل ذلك الغراس، كما يصور من الحب والنوى شجرًا، ومن المنى حيوانًا. أو كان بذلك العمل يخلق شجرًا، وإن لم يكن من نفسه. انتهى.

قلت: فمعناه أن ثواب قراءة آية الكرسي هو الذي يخلق الله منه ما يقدر تحت العرش بلسان وشفقتين، ونظير ذلك حديث النواس في مسلم (٨٠٥): «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَأَلْ عِمْرَانَ»، وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيْتُهُنَّ بَعْدُ، قَالَ: «كَأَنَّهَا عَمَّامَتَانِ، أَوْ ظَلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ، أَوْ كَأَنَّهَا حِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ، تُحَاجَّانِ عَن صَاحِبِهِمَا».

وحديث: بُرَيْدَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ فَيَقُولُ: أَنَا الَّذِي أَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وَأَظْمَأْتُ نَهَارَكَ.

أخرجه ابن ماجه (٣٧٨١) وأحمد (٣٤٨ / ٥ و ٣٥٢) وغيرهم وحسنه الحافظ ابن كثير في "تفسيره" أول سورة البقرة (١ / ٦٢).

قال الإمام أحمد في الرد على الجهمية (١٦٦): فادعوا أن القرآن مخلوق من قبل هذه الأحاديث. فقلنا لهم: القرآن لا يجيء إلا بمعنى: أنه قد جاء من قرأ: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}. فله كذا وكذا. ألا ترون أن من قرأ: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} لا يجئه إلا بثوابه، لأننا نقرأ القرآن فيقول: يا رب. لأن كلام الله لا يجيء، ولا يتغير من حال إلى حال. وإنما معنى: أن القرآن يجيء إنما يجيء ثواب القرآن. يا رب قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٤١٠ / ٨): فَبَيَّنَ أَحْمَدُ أَنَّ الثَّوَابَ هُوَ الَّذِي يَجِيءُ؛ وَهُوَ الْمَخْلُوقُ مِنَ الْعَمَلِ.

قال ابن بطة في الإبانة (٢٠٢-٢٠٥ / ٢): وإنما عنى في هذه الأحاديث في قوله: يجيء القرآن وتجيء البقرة وتجيء الصلاة ويجيء الصيام ويجيء ثواب ذلك كله، وكل هذا مبين في الكتاب والسنة.

قال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] فظاهر اللفظ من هذا أنه يرى الخير والشر، ليس يرى الخير والشر، وإنما يرى ثوابها والجزاء عليها من الثواب والعقاب. كما قال عز وجل: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠] وليس يعني أنها تلك الأعمال التي عملتها بهيئتها وكما عملتها من الشر، وإنما تجد الجزاء على ذلك من الثواب والعقاب. كما قال تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ﴾ [النساء: ١٢٣] فيجوز في الكلام أن يقال: يجيء القرآن وتجيء الصلاة وتجيء الزكاة، يجيء الصبر، يجيء الشكر، وإنما يجيء ثواب ذلك كله، يجزي من عمل الشيء بالسوء، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ أفترى يرى السرقة والزنا وشرب الخمر وسائر أعمال المعاصي إنما يرى العقاب والعذاب عليهما، وبيان هذا وأمثاله في القرآن كثير.

قال الدارمي في نقضه على المريسي- (١/ ٥٦٩): فَقَدْ فَسَّرْنَا هَذَا هَذَا الْمُعْجَبِ بِجَهَالَتِهِ فِي كِتَابِنَا هَذَا أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ صُورَةٌ، وَلَا جِسْمٌ، وَلَا يَتَحَوَّلُ صُورَةً أَبَدًا، لَهُ فَمٌّ وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ وَيَشْفَعُ. فَقَدْ عَقَلَ ذَلِكَ جَمِيعُ الْمُسْلِمِينَ.

فَلَمَّا كَانَ الْمُعْقُولُ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ عَلِمُوا أَنَّ ذَلِكَ ثَوَابٌ يُصَوِّرُهُ اللَّهُ فِي أَعْيُنِ الْمُؤْمِنِينَ، جَزَاءً لَهُمْ عَنِ الْقُرْآنِ الَّذِي قَرَأُوهُ. وَاتَّبَعُوا مَا فِيهِ، لِيُبَشِّرَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَنَفْسُ الْقُرْآنِ كَلَامٌ غَيْرُ مَجْسَمٍ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ، إِنَّمَا يَحْسَنُ بِهِ إِذَا قُرِئَ. فَإِذَا زَالَتْ عَنْهُ الْقِرَاءَةُ لَمْ يُوقَفْ لَهُ عَلَى جِسْمٍ وَلَا صُورَةٍ، إِلَّا أَنْ يُرْسَمَ بِكِتَابٍ. هَذَا مَعْقُولٌ لَا يَجْهَلُهُ إِلَّا كُلُّ جَهُولٍ. قَدْ عَلِمْتُمْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّكُمْ تُغَالِطُونَ، وَالْعُلَمَاءُ بِمُغَالِطَتِكُمْ عَالِمُونَ وَلِضَلَالَتِكُمْ مُبْطِلُونَ. وَيَكْفِي الْعَاقِلَ أَقْلٌ مِمَّا بَيْنَا وَشَرَحْنَا عَنْ مَذَاهِبِكُمْ غَيْرَ أَنَّ فِي تَكَرُّيرِ الْبَيَانِ شِفَاءً لَمْ فِي الصُّدُورِ.

أبو عبد الرحمن /

يحيى بن علي الحجوري

الثلاثاء / ١٢ / رجب / ١٤٤٢ هـ